المنار

١٣١٥

يفسر عادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ — ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

المسلمون والقبط (*)

أو آية الموت وآية الحياة

قرأنا في جريدة الوطن القبطية مقالة عنوانها (التعليم الديني والحكومة) بحث فيها

(*) أشرت في مقالة (حياة الامم وموتها) التي نشرت في الجزء الثاني من هذه السنة الى الفرق بين المسلمين والقبط في العناية بالمعارف . وطالما عزمت على كتابة

كاتبها في مشروع الحكومة الجديد من اعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية بحث قال فيه ان الحكومة المصرية رأت ان هؤلاء الحفاظ كثروا في هذه الديار كما كثر الرهبان والشمامسة والقسيسون في كل بلاد نصرانية تعامل خدمة الدين معاملة الحكومة المصرية لهم فأرادت حكومة مصر أن تخص هذا الاعفاء بمن يستحقه أي وهو من يتعلم من مبادىء القراءة والكتابة ما يمكنه من خدمة الدين بتعليم القرآن الكريم وغيره مما يتعلمه الاولاد في المكاتب لا من يدعون انهم يخدمون الدين والعلم وهم أبعد الناس عن ذلك . قال الكاتب

«وظاهر من هذا ان الحكومة المصرية أرادت أن تعلي قدر الدين الاسلامي بما نوت من الاصلاح لا نها رأت ان الاعفاء بلا تدقيق ولا حساب يجعل الدين سلاحاً يتسلح به كل طالب للتخلص من الخدمة المفروضة على كل وطني فالذين يتذرعون بهذه الذريعة ويجعلون أنفسهم من الفقهاء حباً في الخداع والتخلص من خدمة الوطن وليس حباً بالعلم والدين انما يؤدي فعلهم الى اسقاط حرمة الدين بين الناس » — الى أن قال «فحكومة مصر قصدت خدمة الدين بتنقية صفوفه من الذين لا يصلحون لخدمته والاشتهار بين الناس باسمه وباعادته الى مجده الاول حين كان العلماء والفقهاء (هم) الذين توفرت فيهم شروط العلم والفقه وليس الذين هربوا من واجب وطني وجعلوا الدين حيلة ووسيلة للفرار منه»

جعل الكاتب القبطي الغيور على ملته وقومه هذا الكلام مقدمة وتمهيداً لمطالبة الحكومة بأن تعامل خدمة الدين من القبط كما تريد أن تعامل خدمة الدين من المسلمين بأن تشترط في اعفاء الشمامسة والسرقاء وغيرهم من خدمة الكنيسة أو الدير من القرعة العسكرية أن يكونوا متعلمين من مبادىء القراءة والكتابة ما يجعلهم محترمين في أعين المتعلمين ويمكنهم من إحسان خدمة الدين . وقال اذا كانت الحكومة تشترط عليهم مثل الذي تريد أن تشترطه على الفقهاء (أي الحفاظ) « فانها تحسن الى الامة

مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها . وقد نشرت من عهد قريب مقالة في المقطم تتعلق بالموضوع خاصة بمسألة اعفاء حفاظ القرآن من القرعة العسكرية بامضاء (مسلم غيور) فأحببت نشرها هنا لما فيها من الذكرى والاعتبار

القبطية أكبر احسان وترقى درجة الذين يخدمون دين النصرانية بين رعاياها وهي تخطو خطوة كبرى في سبيل الاصلاح المطلوب للبطركخانات ، ثم أطال في بيان أعمال هؤلاء في خدمة ملتهم وقال ان الامة القبطية كلها ألسنة صارخة بمطالبة الحكومة بهذا الاصلاح

قرأت هذه المقالة فكان يتمثل لي عند كل جملة منها ما كتب في المؤيد من المقالات الطويلة العريضة والنبذ الوجيزة في أخباره المحلية الصارخة بالتألم والشكوى من مشروع الحكومة : انه اهانة للدين والقرآن ، وتحقير لخدمة الاسلام ، وانزال لهم عن مرتبة خدمة النصرانية في الاحترام ، اذ لا تشترط الحكومة في اعفاء القسوس والرهبان والشمامسة ونحوهم معرفة بالقراءة والكتابة ولا بمبادىء الحساب ولا باتقان ما يقرأون من كتب الدين : وتمثل لي بالمقابلة بين ما تشكو منه الجريدتان الفرق بين آيات الموت وآيات الحياة — الجريدة الاسلامية تشكو من العلم وتعده اهانة لدينها وهضما لحقوق حملة كتابه وذلك أظهر آيات موت الامم ان كانت الامة على رأي المؤيد أو راضية بقوله وقول من شايعوه على ذلك . والجريدة القبطية تشكو من الجهل وتعد اقرار خدمة دينها عليه اهانة لهم وتقصيرا من الحكومة في مساواتهم بالمسلمين في العناية بدينهم واعانتهم على اصلاح قومهم وذلك أظهر آيات الحياة والطائفة القبطية على رأيها لا محالة

عجبا للمؤيد يذكر كل سنة في الكلام على نتيجة الامتحان في المدارس سبق القبط للمسلمين في التعلم اذ المشتغلون والناجحون من الاولين أكثر منهم في الآخرين ويظهر التبرم والشكوى من ذلك فما بال من يحارب العلم والتعليم في مشروع حفظ القرآن ومشروع الكتاتيب ؟ ان كان لا يعرف فضيلة العلم لذاته قل أو كثر بل يعرفه بجعله القائمين بأمر البلاد أو عدمه فيذم ما رغبوا فيه ويمدح ما رغبوا عنه فليسكت عن الشكوى من قلة المتعلمين من المسلمين لان جناب اللورد كرومر الذي يمد ازمة البلاد يشكو من ذلك في تقاريره كل عام

ان رغبة القبط فيما يزعم المؤيد ان المسلمين يرغبون عنه وبكاء الجريدة القبطية على ما تبكي منه الجريدة الاسلامية هو ادل على الفرق البعيد بين الفريقين من كثرة عدد المتعلمين في احدهما وقلته في الآخر لان الرغبة عن العلم والبكاء منه ادل على موت الامة من ترك الكثيرين له اذ يجوز ان يكون الترك لعذر غير الكراهة والنفور (١) .

(١) التفور هنا لا معنى له فهو تحريف صحفها

كذلك الرغبة في العلم وطلبه والبكاء من فقده أدل على الحياة من مجرد القيام به من أفراد كثيرة » الخ (مسلم غيور)

(المنار) اننا لم نقرأ كل ما نشر المؤيد في هذه المسألة ولكننا قرأنا بعضه فلم نر سوابًا وفي هذه المقالة حدة في الانحاء عليه قد استثقلناها فحذفناها ومقصودنا بالذات المقابلة بين المسلمين والقبط في هذا الامر لاسيما بعد ان مضى زمن على ما نشرته جريدة الوطن القبطية فلم نر من القبط من انتقده وما حذفناه ليس منه وقد بينا رأينا في المسألة معززا بالدلائل والبراهين

باب العقائد

نشر المقالة الآتية لصاحب التوقيع الذي رأيناه منذ عرفناه يشتغل بعلوم الفلسفة والكلام مع رفيق له من المشتغلين بالطب حتى انهما صارا يطالعان الكتب العالية كالمواقف وقد مزج مقالته الآتية بنظريات المتقدمين وطريقة المتأخرين الذين درس علومهم في المدارس النظامية . وهذه هي المقالة

الدين في نظر العقل الصحيح

قرأت في إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئاً من المذهب المادي في مصير الانسان وأصله وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لا حق بعد ذلك ولما كانت هذه الافكار وأمثالها مما يخالج قلوب شبابنا اليوم حتى صار جمهورهم لا يعبأ بعقائد الدين ويظن انها ضرب من أساطير الاولين لا حاجة لعصرنا الحاضر بها تحركت نفسي لكتابة شيء في هذا الموضوع بعد عمل الفكر واجالة النظر في أطرافه وجعلت اعتمادي فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التي تنتهي الى البديهيات بحيث لا تجد فرقاً بينها وبين البراهين الرياضية لتكون أعظم مؤثر في قلوبهم وليعلموا أن الدين في حجته يفوق المادية في نظرياتها وأوهامها . ولإيفاء المقام حقه رأيت أن أبدأ بذكر حكم العقل في المادة من جهة تركيبها وتحليلها وأصلها من حيث الحدوث والقدم ثم انتقل الى براهين وجود الخالق وما يليق به من الصفات ثم أتكلم عن الروح والبعث وأختم كلامي بأدلة النبوة عموماً والمحمدية خصوصاً وبذلك يتم الاعتقاد الاسلامي ويكون الانسان مؤمناً بالله واليوم الآخر والنبوة وما أتت به

المادة وتركيبها

الاجسام التي نراها شاغلة حيزا من الفراغ تقبل القسمة الى أجزاء أصغر منها وكل جزء يقبل القسمة الى ماهو أصغر منه وهكذا فاذا استرسل العقل في القسمة فاما أن يقف عند حد أولا يقف فان لم يقف كان ذلك قولا بأن كل جسم أخذناه بيدنا وحصرناه بين أصابعنا مركب من أجزاء لانهاية لها وهذه الاجزاء مهما صغرت فلا يمكن أن تحصر لعدم تناهيها . لكن هي محصورة بالحس إذاً هذا الفرض باطل . بقي القول بأن العقل لابد أن يقف عند حد في القسمة فهذا الحد اما أن يكون له امتداد أوليس له امتداد فان كان له امتداد فالعقل يتصور قبوله للقسمة ونرجع الى ماقلناه في الشق الاول اذاً لم يبق الا القول بأنه لاامتداد له . واذا ثبت هذا علمت أن جميع الاجسام مركبة من أجزاء لاامتداد لها مطلقاً ولكن لها وضع معين فهي مثل النقط الهندسية وإنما تمتاز عنها في أنها أشياء وجودية لا وهمية . هذه الاجزاء هي مانسميه بالجواهر الفردة ويسمي حملتها الماديون (بالمادة) أو (الامير) وقالوا إن اجتماع بعضها ببعض على أوضاع مختلفة وبأعداد مختلفة قد نشأت عنه العناصر الاصلية فيجوز أن تكون كل ذرة من الاوكسيجين مركبة من جوهرين مثلا والذرة من عنصر آخر مركبة من ثلاثة أو أربعة وباتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض تكونت المركبات وسواء صحت هذه النظريات أولم تصح فالذي لاشك فيه هو وجود الجوهر الفرد وأنه الجزء الذي لايتجزأ ومنه تركبت الموجودات

حدوث المادة

قلنا ان الجوهر الفرد هو ماليس له امتداد وله وضع معين وهو شيء وجودي . كل ما كان له وضع معين فالعقل يتصور جواز انتقاله من موضع الى آخر وهذا الانتقال هو الحركة فلو فرضنا أن الجوهر الفرد قديم لتصور العقل إمكان تحركه من مكان الى آخر ولو أمكن ذلك لامكن وجود حركات في الأزل لاأول لها وهذا محال لانه يستلزم جواز تحرك الجوهر حركات لاعدد لها قبل كل حركة . وكونها لاعدد لها يستلزم أنها لاتحصر ولاتدخل تحت عد وإتيان الجوهر الفرد بها يدل على أنه يمكن عدها وعد ما لايعد تناقض بديهي البطلان إذا ثبت ان الجوهر لايجوز أن يتحرك

في الازل لكن جواز تحركه من لوازم ذاته بحيث لا يتصور وجوده بدون ذلك الجواز وحيث ان فرض وجوده في الازل يؤدينا الى المحال وما يؤدي الى المحال محال ثبت انه لا يمكن أن يكون موجوداً في الازل أي انه حدث بعد أن لم يكن

وجود الواجب

يقسمون المعلوم إلى قسمين واجب لذاته وغير واجب لها فالواجب لذاته هو ما كان وجوده من لوازم ذاته بحيث لا يمكن أن ينفك عنها وغير الواجب قسمان موجود بالفعل وغير موجود وغير الموجود قسمان جائز وجوده ومستحيل والمستحيل هو ما لا يمكن وجوده فكل موجود إما أن يكون واجباً أو جائزاً ولا ثالث لهما أما الواجب فسبق تعريفه وأما الجائز فهو ما جاز عليه الوجود والعدم ولا يرجح أحدهما الا بمرجح اذا عرفت هذا فقول

الجوهر الفرد موجود فإما أن يكون واجباً أو جائزا لا يمكن أن يكون واجباً لانه قد ثبت أنه كان معدوماً في الازل والواجب لا يمكن أن ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبداً اذاً هو جائز والجائز لا يمكن أن يرجح وجوده على عدمه الا بمرجح والمرجح لا يمكن أن يكون سوى الواجب اذ لم يبق سواه غير المستحيل اذاً الواجب موجود قطعاً

أحكام الواجب

قد سبق أن الوجود لا ينفك عنه أي انه قديم باق فلا أول لوجوده ولا آخر له وهذا بمقتضى التعريف السابق . ومن أحكامه أنه ليس له وضع معين ولا جهة يشار اليه فيها والا لتصور العقل جواز تحركه ولو جازت عليه الحركة لكان حادثاً ولو كان حادثاً لما كان واجباً وحيث ثبت انه لا وضع ولا جهة له ثبت أنه لا امتداد له والا لشغل حيزاً من الفراغ وتعين له الموضع والجهة

اذا عرفت هذا علمت أنه لا يجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا التجسد لانه لو حل أو اتحد بجسم المسيح على مذهب أو تجسد وظهر بصورة المسيح على المذهب الآخر كما يقول النصارى لوجبت له الحركة والا لما كان للحلول والاتحاد والتجسد معنى حقيقياً تعالى الله عن أن يظهر في مخلوق أو يتصور بصورته

ومن أحكامه التفرد بالوجود لانه لو كان هناك واجبان فأكثر وخلق أحدهما جائزا اما من

الجائزات فلم ما أن يبقى الآخر قادرا على خلق هذا الشيء بعينه أو غير قادر فان بقي قادرا أمكنه تحصيل الحاصل وهو محال لانه يستلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وإن لم يبق قادرا زالت قدرته القديمة عن بعض الاشياء والقديم لا يزول لان قدمه إما أن يكون لذاته أو لشيء آخر قد اقتضى وجوده فان كان قدمه لذاته فلا يمكن أن يزول من الذات ما هو لها وإن كان لغير ذاته فما دام المقتضي موجودا فلا يمكن أن يزول المقتضى

هذا واعلم ان قول النصارى إنه واحد في الذات ثلاثة في الاقانيم محال لانهم يعتقدون ان كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة فالاول يمتاز بخاصية الابوة والثاني بالبنوة وبالحلول أو التجسد والثالث بالانبثاق وان الامتياز بينهم حقيقي بحيث ان ما يثبتونه لاحدهم لا يمكن ان يثبتوه للآخر اذا عرفت هذا فقول الشيء الذي به الامتياز إذا ثبت لاحد الاقانيم فهو ثابت لذاته وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات الله تعالى وبما انه علة للامتياز فلا يمكن ان يثبت للاقنوم الآخر وإذا لم يثبت لهم يثبت لله وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله وعليه يكون الشيء الواحد ثابتاً للذات وغير ثابت لها فمثلا إذا قلنا إن الابن حل او تجسد اي إن ذاته حلت او تجسدت كانت ذات الله حالة او متجسدة ولكن الآب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد وعليه تكون ذات الله حالة او متجسدة وغير حالة ولا متجسدة وهذا تناقض ظاهر البطلان

بقي علي أن اذكر كلمة صغيرة في القدرة قبل ترك هذا الموضوع وهي انها لا تتعلق بالمستحيل ، وخلق حوادث في الازل مستحيل لانه يستلزم وجود حوادث لا اول لها وهو باطل وعليه فالقدرة الازلية لا توجد الحوادث الا في غير الازل والازل لا يمكن للعقل تصوره فهو ليس مركباً من لحظات لا اول لها لان ذلك أيضاً باطل فلم يكن ثم دهر ولا زمان بخلاف ما إذا فرضنا ان الجوهر الفرد قديم فانه يستلزم جواز وجود الحركات في الازل وذلك يستلزم تعاقبها وتعاقبها يستلزم وجود الزمان أما خلق الحوادث في غير الازل فلا يستلزم وجود لحظات متعاقبة ولا وجود متجددات في الازل والخلاصة ان الواجب قديم باق قدير متفرد بالوجود ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

الروح والبعث

عناصر الجسم الكيماوية معروفة ومشهورة وعناصره (الهستولوجيه) هي مايسمونه بالخليات وكل خلية حية بذاتها بحيث يمكن بقاؤها حية بعد انفصالها عن الجسم مدة من الزمن وتأتي من الاعمال مثل ماتأتيه في الجسم فمثلا كرات الدم البيضاء اذا فصلت عن الجسم ووضعت في وسط مناسب لحياتها تبقى حية مدة فتتحرك وتتغذى وتقسم وليس الامر قاصرا على الخليات بل ماتركب منها من الاعضاء والعضلات وغيرها وإذا فصل من الجسم يبقى حيا مدة فمثلا قلب الضفدعة يستمر على ضرباته بعض دقائق وكذا العضلات الاخرى من الجسم تنقبض وتنبسط إذا نبهت ثم ان جميع وظائف الجسم وحواسه ومدركاته لها مراكز مخصوصة في المخ والنخاع الشوكي بحيث إذا أتلف هذا المركز بطلت الوظيفة وبين المراكز والاعضاء اتصال بالاعصاب الحساسة والحركة ولهذه الحقائق المحسوسة ظن الماديون أن لامعنى للقول بالروح إذ لاأثر لها في الحياة ولا في غيرها ولو كان هناك شيء يليق أن يسمى روحا فالمخ أولى الاشياء بهذه التسمية ثم إنهم شاهدوا أن الجسم دائما في التغير والانحلال والتركيب بحيث أن جسم الانسان في بضع سنين يكون قد تبدل كله وأتى بدله جسم آخر وفسروا شعور الانسان بشخصه أنه لم يتغير طول حياته بأن الانطباعات والتأثرات المخصوصة في جوهر المخ تتجدد في كل مادة وبعد ان أنكروا مايسميه علماء الاديان روحاً وأنه شيء يقوم بذاته ولا يتغير وأنه ليس من مادة فالمناهذا الى آخره بعد أن انكروا ذلك ووجدوا أن جسم الانسان بعد الموت يحلل ويدخل في تراكيب النباتات والحيوانات الاخرى ومن بينها الانسان قالوا إذا البعث مستحيل لان الانسان ليس له روح مخصوصة تمتاز عن جسمه وليس جسمه ثابتاً له بل ربما دخل في جسم إنسان آخر وعليه فالحشر روحياً كان أو جسدياً ضرب من المحال

هذا هو ملخص مذهبهم والناقد البصير يرى انه مبني على المحسوس والمعقول إلا في نقطة واحدة هي محور غلطه ومركز شططه وهي قولهم إن شعور الانسان بشخصه من أول العمر إلى آخره ناشئ عن الانطباعات المخصوصة وتجددها في كل مادة تدخل في تركيب مخه لاشيء ثابت من اول الحياة الى آخرها إذا لاعلاقة بيني

الآن وبين شخصي بعد بضع سنين سوى الانطباعات المخصوصة المتماثلة في المادتين. أقول المتماثلة لانها لا يمكن ان تكون هي بعينها لانها اعراض لاقيام لها بذاتها ولا تنتقل من مادة الى أخرى فكانه بمرور بضع سنين على الانسان يعدم من الوجود ويوجد شخص آخر غيره ومع ذلك يشعر كل بأنه هو الآخر بعينه لتماثل الانطباعات فيهما ولو سلمنا ذلك فلماذا لا يكون البعث من هذا القبيل وإذا وجد شخص آخر فيه مثل ما فيّ من الانطباعات فهل أشعر بأني أنا هو وهو يشعر بأنه أنا وما الفرق بين هذه وتلك وهل إذا عدم أحدنا يشعر الآخر بأنه هو الاول بعينه كلا ثم كلا إذا لا بد ان يكون هناك شيء ثابت في الانسان من أول الحياة الى آخرها وبه تحقق شخصيته ويتاز وجوده وسواء كان هذا الشيء من عالمنا هذا أو من عالم آخر فلا يهمنا وهذا الشيء هو روح الانسان وجوهره وحقيقته وحيث أننا لا ندري مكانه ولا كنهه فلا يمكننا الحكم بأنه يدخل في تركيب انسان آخر ولم لا يجوز أن يبقى محفوظا الى يوم القيامة ثم يعاد في جسم جديد. ولا عبرة بالجسم الاول المتبدل المتغير الداخل في تركيب غيرنا بعد انحلاله فان شخصية الانسان لا تحقق به ولا تتوقف عليه. اذا علمت هذا أيقنت ان للانسان روحاً بالمعنى المتقدم وكذا لكل حيوان له شعور بشخصه وان ليس البعث ضرباً من المحال بل هو من الجائزات وسنأتي في مقال آخر بأدلة النبوة وصدق ما أتت به وبعد ذلك تثبت بالبرهان النقلي وجوب البعث يوم القيامة الامضاء

محمد توفيق صدقي الطبيب بسجن طرى

﴿ شذرات من يومية الدكتور أواسم (*) ﴾

يوم ١٥ يوليه — سنة ١٨٦

﴿ فوائد الشدائد — بذل النفس للمحبوب أول الحب ﴾

كان منا خرق وطيش كادت عواقبه تكون علينا خسارا مبينا ذلك اني وداميان

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أمين القرن التاسع عشر تأليف سنة ١٩١٢م